



خطبة صلاة الجمعة 14/12/2012 للشيخ الطيب محمد حير اسعيل, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

www.dr-shaal.com

(أطفالنا والأزمة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليته، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46].

وقال ربُّنا على لسان عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: 74-76]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ خلفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال لي: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». [رواه الترمذي]

عنوان خطبة اليوم:

(أطفالنا والأزمة)

أيها الإخوة:

دَعَتْنَا الأَزمة التي نعيش -والتي نسأل الله أن يُعَجِّلَ لنا بالفرج منها مع لطفه الخفي- إلى أن يبذل كلُّ مِنَّا جهده في اختصاصه لمساعدة الخلق ومعاونتهم، وكنت اطلّعت على أبحاث عديدة وأعمال فاضلة تتحدّث وتعمل في تخفيف الأزمة عن الأطفال، ومن جملة ما يعمله الأبرار في الأزمات وما يبحثون به: الآثار النفسية للأزمة على الأطفال، فأحييتُ أن أُطْلِعَكم على شيء من هذه الأبحاث النافعة؛ لنستفيد منها في التنبُّه لأطفالنا، ولنساعدهم ما أمكن في الثبات والصُّمود، ولنجنِّبهم الآفات والأضرار، وهل الأطفال إلا مُهَجَّ الأباء والأمهات؟!
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنُنَا
أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ

لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ
لَا مَتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ الْعَمَضِ

أيها الإخوة:

أشدُّ الناس تأثراً بانعكاسات الأزمات هم الأطفال، ويُرجِع علماء التربية وعلم النفس ذلك لعدم اكتمال نضجهم نفسياً واجتماعياً، ولعدم استطاعتهم التعبير عن غضبهم وخوفهم وقلقهم بالألفاظ مثل الكبار، ولكنهم يعبرون بلغة أخرى هي لغة الحركة وعدم الاستقرار، وتلك رسالة منهم للعالم الخارجي تؤكد قلقهم وخوفهم من الخطر الذي يحيطُ بهم وبمن حولهم.
وإذا كانت ظروف الكوارث فوق طاقة الكبار فهي بشكل مضاعف فوق طاقة تحمّل الصغار، ولذلك يُنصح ذوو الأطفال بزيادة اهتمامهم ورعايتهم ومجالستهم للأطفال في الأزمات.

روى الطَّبْرَانِي بإسناده عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا حَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاءت أُمُّ أَيْمَنَ، فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ ضَلَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَوْمُوا فَاطِلِبُوا ابْنِي»، قال: وَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ تَجَاهَ وَجْهَهُ، وَأَخَذْتُ نَحْوَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَتَى سَفْحَ جَبَلٍ، وَإِذَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا مُلتَزِقَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ، وَإِذَا شَجَاعٌ قَائِمٌ عَلَى ذَنْبِهِ، يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَبْهُ النَّارِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْسَابَ فَدَخَلَ بَعْضُ الْأَحْجَرَةِ، ثُمَّ أَتَاهُمَا فَأَفَرَقَ بَيْنَهُمَا

ومسح وجهَهُما، وقال: «بأي وأمي أنتما، ما أكرمكما على الله!!»، ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن، والآخر على عاتقه الأيسر، فقلتُ: طوباكما، نِعَمَ المطيَّة مطيَّتكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ونعم الراكبان هما، وأبوهما خيرٌ منهما».

فهذه أزمة تعرَّض لها الصغيران، فتلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمايتهما والحنوِّ عليهما ومحادثتهما وضَمَّهما والقربِ منهما.

يقول المتخصِّصون:

للأزمات انعكاسات سلبية على الأطفال: نفسية ومعرفية وسلوكية وغير ذلك.
أما الانعكاسات النفسية فأهمها: القلق النفسي، واضطرابات النوم، والاكتئاب..
وأما المعرفية فأهمها: ضعف التَّحصيل الدراسي، وقلة الانتباه..
وأما السلوكية فأهمها: العدوانية.

ويستطيع الأهل التخفيف من حِدَّة هذه الانعكاسات من خلال المعرفة بها وحسن التعامل مع الطفل عند حدوثها، وها أنا أقدم بين أيديكم في الخطبة شيئاً مما يَسْمَح به الوقت للتعريف ببعضها، وأجمل في أحسن طرق التعامل مع الطفل عند حدوثها.

- الفقرة الأولى: التعريف بها.

أولاً: القلق النفسي:

هو انعكاس نفسيٍّ من انعكاسات الأزمة على الأطفال، وهو حالة من التوتر المصحوب بالخوف وتوقُّع الخطر، وهو مغاير للقلق الطبيعي الذي نجده جميعاً عند المتاعب الخارجية، والذي يزول بزوال السبب.

ومن أهم أعراض القلق النفسي:

- (1) زيادة الحركة..
 - (2) والنَّهم الشديد للأكل، أو الابتعاد عن الأكل..
 - (3) وعدم القدرة على التركيز..
 - (4) الحساسية المفرطة التي تتجلى بسرعة الغضب وسرعة البكاء.
 - (5) صعوبة في النوم أو الاستغراق فيه، مع رؤية الأحلام المزعجة والكوابيس.
- ومن الآثار السلوكية للقلق النفسي:

أ- التمرد: كإصرار الطفل على أن ينقذ ما يريد، ويخرج عن تعليمات الكبار وقوانينهم.

ج- قضم الأظافر.

د- العدوان: إذ يولد العنف الخارجي الواقع على الطفل عنفاً داخلياً، فيعكسه في سلوكيات عدوانية تجاه نفسه والآخرين والأشياء.

ومما يزيد القلق النفسي للطفل:

التهديد المستمر للطفل وبشكل كبير عندما يقوم بفعل لا يرضي الوالدين. ووجود القلق عند الأبوين فينتقل منهما إليه.

ثانياً: اضطرابات النوم عند الأطفال:

يستيقظ الطفل وهو يصرخ ويبكي بكاء مصحوباً بمظاهر سلوكية قَلِقَة وهَلَع، تصاحبها سرعة في دقات القلب، مع التشبُّث بالأم أو الأب، وجحوظ في العينين، وارتجاف في الأطراف، وتصبب في العرق. وعادةً ما يحدث خلال الثلث الأول من الليل بسبب أحلام مفزعة.

ثالثاً: الاكتئاب:

وأهمُّ أعراضه:

- 1) مزاجٌ مكتئب طوال اليوم: (حزين، تائه، يحبُّ الوحدة، متردّد، يشعر بالفراغ).
- 2) فقدان واضح للاهتمام أو المتعة في معظم النشاطات طوال اليوم (مهمل لنظافته الشخصية، نظراته غائرة، يتعد عن أي اجتماعيات، يفضّل البقاء وحيداً وعدم اللعب مع رفاقه والمتعة معهم).
- 3) فقدان ملموس للوزن نتيجة فقدان الشهية.
- 4) أرقٌ في النوم أو نوم زائد يومياً.
- 5) حركة زائدة أو قلة حركة.
- 6) فقد الثقة بالآخرين.
- 7) فقدان الطاقة: (لا يستطيع ممارسة نشاطاته اليومية بشكل ملحوظ، وبشكل سلبي ينعكس على الذات).

هذا شيء من التعريف ببعض الانعكاسات النفسية للأزمات.

- الفقرة الثانية: طرق تعامل الأهل مع الطفل عند حدوثها:

وهي الفائدة العملية من هذه الخطبة.

وتعالوا نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نُعامل الأطفال في الأزمات ثم نعرض لوصايا المتخصّصين:

روى أهل السّير: لما استشهد جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على زوجته أسماء بنت عميس، فقال: «**اتني ببني جعفر**»، فأنت بهم فشّمهم وقبّلهم وذرفت عيناه، فقالت أسماء: أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «**نعم، أصيبوا هذا اليوم**»، فجعلت تصيح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم**».

ولما عاد الجيش تلقّاهم الصبيان يشنّدون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل على الجيش على دابة، فقال: «**خذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابن جعفر**»، فأُتي بعبد الله، فحمّله بين يديه.

وبعد ثلاث دخل على أسماء وقال: «**ادعولي بني أخي**»، فجاء بهم كأنهم أفرخ، فدعا بالخلّاق فخلّق لهم رؤوسهم ثم قال: «**أما محمّد فشبيهه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيهه خلقي وخلقي، ثم أخذ يمين عبد الله وقال: اللهم اخلف جعفرًا في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه، ثلاثاً**»، ولما ذكرت أمهم يتمّمهم وضعفهم قال لها: «**العيلة تخافين، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟!** ». [رواه أحمد].

أيها الإخوة:

يوصي المرشدون النفسيون الأهل في تعاملهم مع أطفالهم في الأزمات بما أسيّته الوصايا

العشر:

- 1- تجنب الحديث الطويل الدائم أمام الأطفال عن الأزمة.
 - 2- استعمل طرق التفريغ النفسي للصّدمة عن طريق الرّسم والدراما واللّعب والإنشاد والحوار المناسب لشخصية الطفل وطبيعة المرحلة العمرية ومستواه العقلي والانفعالي.
- ففي الرسم: احرص على امتلاكك لبعض أدوات الرسم كالأوراق البيضاء وبعض الألوان، ودعهم يرسمون ما يحبون، وعند انتهاء الرسم اطلب من أبنائك الحديث عن رسوماتهم، ومن الممكن دعوة مجموعة من الأطفال ليرسموا حدثاً ما بشكل جماعي، فهذا من شأنه تنمية روح

التعاون لديهم واستماع كلٍّ منهم لأفكار الآخر، والتَّواصل مع بعضهم في الألم والخروج منه من خلال الرسم.

وفي الحوار: تحدّث مع الطّفل عن الأوضاع التي تخيفه، ويمكن توجيه انتباه الطفل الخائف من خلال الحوار إلى الأطفال الآخرين الذين يتعاملون مع الأزمة من دون خوف من خلال سرد قصص عن الأطفال في أوضاع متشابهة، وكيف تمّ التغلّب على خوفهم.

كما يفيد ترك الأطفال يتحدثون مع بعضهم بوجود الأهل، ويوجّه الأهل حديثهم إلى الموضوعات التي تمكنهم من التفرّغ مثل: (الصّدّاقة، الوفاء، الحبّ، عمل الخير، ونحوها).

3- اشترك مع أهل بيتك وأبنائك في الصلاة والدُّعاء وحضور مجالس العلم والذكر، وفي العمل التطوّعي الذي تخدم به المتضرّرين، وكلفّ الطفل بأعمال ومهام مناسبة لعمره لتقوية إحساسه بالكفاءة والثقة بالنفس.

4- علّم الطفل المحافظة على الممتلكات العامة والشعور بالمسؤولية نحوها، مثل: المحافظة على المدرسة والمسجد ومؤسسات المجتمع، والأشجار وعدم تلويث الطريق..، ونحو ذلك.

5- كُن قريباً من الطّفل في ظلّ أحداث الكارثة وما بعدها ولا تتركه بمفرده.

6- علّم الطفل بعض الإرشادات التي قد يحتاجها في ظلّ حدوث أي أزمة من خلال الوسائل التربوية المناسبة كالقصة والحكاية والأنشودة ولعب الدور.

7- أمّن المكان الذي يقيم فيه الطّفل، خاصّة بالليل بأن تضيء نوراً خافتاً يساعده على رؤية من حوله، ويُشعره بالأمان.

8- لا تُلقِ تعليمات الخوف على الأطفال؛ تلك التعليمات تزيد من قلقهم وخوفهم، مما يؤدي إلى انعكاسها على شخصياتهم بالسلب، مثال: (لا تلعب في مكان الحدث، لا تقترب من التجريف، لا تنظر من النافذة).

9- حاول ضبط النفس من تصرّفات الأطفال في ظروف الكوارث، فكثرة الحركة وعدم الاستقرار من أكثر الأعراض التي تتّضح عليهم نتيجة الخوف والقلق، فلا تردّ على تلك الظاهرة بالغضب أو العنف، واستخدم أسلوباً هادئاً لمعالجة تلك الظاهرة؛ إذ الغضب والعنف سيزيدان تلك الظاهرة ولن يعالجاها.

10- شجّعهم على مواصلة الأنشطة الاعتيادية اليومية وخلق البدائل لها إن لم يتمكنوا من ممارستها.

وأخيراً:

العلاج الفعّال للخروج بالطفل من هذه الحالة هو إعطاؤه الحبّ بسخاء، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الحسنين ومع أولاد جعفر، وإشعار الطفل بأنه موضع التقدير والقبول، وإتاحة الفرصة له حتى يكون آمناً وسعيداً.

وفي استشارة المتخصّصين النفسيين فائدة كبيرة لمن أعيته الحيل.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ: «أُعِيدُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ»، ثُمَّ يَقُولُ: «كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ».

اللهم احفظنا وذريّاتنا من كل سوء وأعدنا من كل شرّ

والحمد لله رب العالمين

• من المراجع:

- "الانتهاكات الإسرائيلية وتأثيرها على شخصية الطفل الفلسطيني"، حسام شحاتة.
- "دليل الأطفال في ظل الظروف الصعبة"، فضل أبو هين.
- "إرشادات علمية للتعامل مع الحروب"، عبد العزيز ثابت.
- "دليل المساعدة في التعامل مع الأطفال في الظروف الصعبة"، جمعية الثقافة والفكر الحرّ غزة.
- "الطفل في ضوء القرآن والسنة"، أحمد خليل جمعة.
- "منهج التربية النبوية للطفل"، محمد نور سويد.